## لون الشعر بني فاتح وعيونهم تصطبغ به

# قرية يسكنها أحفاد جنود الإسكندر الأكبر

**لندن - ميك تشاكرابورتي**

يشتهر "وادي بارفاتي" بين هواة الأسفار بالحفلات التي تشهد تعاطي المخدرات، وما ينبعث فيه من أدخنة ناجمة عن تدخين الحشيش المُخدر، الذي يأتي من قرية "مالانا" ذات التاريخ العريق، والواقعة في ولاية هيماجيل براديش، شمالي الهند.

لكن بوسعك إذا ما اخترقت عيناك حجب هذه الأدخنة أن تجد نفسك إزاء كنز دفين من الأساطير والمكائد والأسئلة التي تعوزها الإجابات.

وتقع هذه القرية التي يبلغ عدد سكانها نحو 1700 نسمة على قمم الهيمالايا، تحيطها منحدراتٌ صخرية شديدة الانحدار، وجبال تكسو الثلوج قممها.

وطالما اجتذبت قرية "مالانا" السائحين ليقيموا فيها عدة أيامٍ وسط رياحٍ شديدة البرودة، وصفوف من أشجار الدودار، التي تكتسي أوراقها باللون الأخضر الداكن، وذلك لتعاطي ما يعتبره سكان المنطقة عشباً مقدساً، وهو قنب مالانا أو حشيشها المخدر الشهير، الذي يراه الزوار وسيلة لنيل قسط من راحة الذهن والبال.

ويحظى هذا النوع من الحشيش بشهرته لسببين، أحدهما يتعلق بطريقة إنتاجه وتحضيره التي يُفرك فيها باليد، وكذلك بفعل ما يُروى عن أن له أثراً مُخدراً ذا طابعٍ استثنائي. رغم كل ذلك، كان الهدفُ الرئيسي من زيارتي إلى هذه القرية الهندية يتمثل في السعي لفهم الأساطير والخرافات التي تحيط بها.

**قرية منعزلة**

فثمة أسطورةٌ تقول إن بعضاً من جنود جيش الإسكندر الأكبر لاذوا بتلك القرية المنعزلة في عام 326 قبل الميلاد، بعدما أصيبوا في معارك واجهوا فيها جيش الملك بوروشوتاما، الذي كان يحكم منطقةً تقع حالياً ضمن ولاية البنجاب الهندية.

وفي أغلب الأحيان، يُقال إن هؤلاء الجنود هم أجداد السكان الحاليين لـ"مالانا". وقد عُثِرَ في القرية على قطعٍ أثرية تعودُ إلى تلك الحقبة، ومن بينها سيفٌ تفيد تقارير بأنه موجودٌ بأحد معابدها.

رغم ذلك، لم تُدرس مسألة وجود صلات وراثية بين السكان وجنود الإسكندر، كما لم تُثْبَتْ مثل هذه الروابط علمياً. أكثر من ذلك، لم يكن لدى الكثير من سكان القرية الذين تحدثت معهم، أي فكرة عن مصدر تلك الأسطورة.

ويقول أملان داتّا – وهو مخرجٌ سينمائيٌ قضى عقداً من الزمان يعمل في مالانا – إن "الادعاء الضخم القائل بأن سكان مالانا ينحدرون من نسل أفراد جيش الإسكندر الأكبر غدا حقيقةً مقبولةً على نطاقٍ واسعٍ، ولكنني لم أجد أي شيءٍ ملموسٍ يدعم ذلك. هناك بعض الأسلحة والأشياء التي يمكن العثور عليها، والتي أثارت وجود هذه الروابط. ولكنني واثقٌ من عدم وجود دليل يؤيد صحة هذه القصة".

**اختلاف ملحوظ**

غير أن هناك عوامل تُذكي هذه النظريات، من بينها الاختلاف الملحوظ في السمات الشكلية للسكان عن أقرانهم في الولايات الهندية الأخرى، وكذلك اللغة التي يتحدثون بها والتي لا تشبه أياً من اللغات السائدة بين قبائل تلك المنطقة، وهو ما يُعمِّق اللغز المحيط بهؤلاء القوم وهويتهم.

فسكان "مالانا" يتحدثون لغةً تسمى "كاناشي" ويُسْبِغون عليها القداسة ولا يُعلِّمونها لِلغرباء. كما أنها لا تُسْتَخْدَم في أي مكانٍ آخر في العالم.

وخلال زيارتي، استخدمت لفظاً محلياً يعني "أخ" في سياق مخاطبتي لبعض الرجال الذين التقيت بهم، وهو أمرٌ شائعٌ إلى حد ما لمخاطبة الرجال في هيماجيل. ولكن على الرغم من أن السكان فهموا ما كنت أقوله لهم باللغة الهندية، فإن ردودهم عليَّ بلغة "كاناشي" كانت مبهمةً بالنسبة لي.

وفي الوقت الحالي، تشكل هذه اللغة موضوعاً لدراسة تجريها جامعة أوبسالا السويدية بقيادة الأستاذة في اللغويات أنجو ساكسينا التي قالت لي إن الوضع الراهن للغة كاناشي يجعلها "حتماً مُهددةً بالانقراض بوصفها لغةً غير مكتوبة، ولم يتم تعريفها وتحديد خصائصها علمياً".

وتضيف ساكسينا بالقول: "تنتمي هذه اللغة إلى عائلة اللغات الصينية التبتية. وفي كل القرى المحيطة، يتحدث (السكان) اللغات الهندية الآرية التي لا تمت بأدنى صلة لتلك اللغة". ويثير ذلك تساؤلات مثيرة حول بنيتها اللغوية وطبيعة ما كانت عليه في مرحلة ما قبل تسجيل تاريخها".

ولا تكتنف المخاطر اللغة التي يتحدث بها سكان "مالانا" فحسب، وإنما يمتد ذلك إلى طريق الوصول إلي تلك القرية، والتي كانت رحلةً إلى المجهول.

فالطرق المؤدية إلى "مالانا" غير مُعَبَّدة بشكل يجعلها تصلح لمرور مركبات ذات محرك. وقد وصلت إليها بعد رحلة مضنية استغرقت نحو أربع ساعات، قطعتها قادمة من قرية جارتي الواقعة في قاع وادي بارفاتي.

ولم يمضِ عليَّ وقتٌ طويلٌ بداخل "مالانا" قبل أن أبدأ في ملاقاة المارة من سكانها، الذين يميزهم لون الشعر البني الفاتح، الذي تصطبغ به أعينهم كذلك، بجانب أنوفهم الطويلة وبشرتهم القمحية المميزة أو تلك التي تبدو مزيجاً من البني والذهبي.

وكانت الغالبية العظمى ممن مررت بهم يرتدون ثياباً تقليديةً مؤلفةً من جلاليب ذات لون بني فاتح، وقلنسوات وأحذية مريحةً ومرنة منسوجة من خيوط نبات القنب. وبدا أولئكَ الأشخاص بالنسبة لي أقرب إلى سكان حوض البحر المتوسط منهم إلى قاطني هيماجيل.

ولدى دخولي القرية، صادفت مجموعةً من الصبية الذين سألوني عما إذا كنت أرغب في شراء بعض الحشيش. وبالنظر إلى أن القنب وما يتصل به من أنشطة تجارية شكَّلَ لأمد طويل العمود الفقري لاقتصاد هذه القرية الصغيرة، فقد أدى إلى ظهور مجموعة من المشكلات الاجتماعية والثقافية، مثل انخراط الصبية والأطفال الصغار في الإتجار بالمخدرات.

**حكام عظماء**

ولعل ذلك ما أدى قبل عامٍ من الآن، إلى "تدخل" الإله الخاص بالقرية والذي يُدعى "جامدَغني ريشي" ويُلقب في المنطقة باسم "جمالو دفتا"، ويشكل أحد الحكماء العظام في عالم الأساطير الهندوسية.

فقد "أمر" ذلك الإله عبر المتحدث الروحي باسمه، بإغلاق كل بيوت الضيافة الموجودة في مختلف أنحاء "مالانا"، لتبقى القرية مفتوحةً أمام زوارها من الخارج

**تقليص**: يعرف سكان مالانا بتقليص مساحات التواصل مع الغرباء عن قريتهم

خلال ساعات النهار فحسب.

ويمثل هذا الإله الهندوسي شخصيةً رمزيةً مهمةً في منظومة الحكم في قرية "مالانا"، والتي تتألف من نسق سياسي طالما أثار حيرة الباحثين والزائرين الذين لا يستطيعون استيعاب كيف وُجِدَ هذا النمط المتقدم من الحكم، في تلك القرية الغريبة والنائية الواقعة في منطقة سلسلة جبال الهيمالايا.

وفي هذا السياق، يُقال إن النظام الديمقراطي الفريد من نوعه الموجود في "مالانا" هو من بين أقدم الأنظمة الديمقراطية في العالم، ويشبه نظيره الذي ساد في اليونان القديمة في أنه يتألف من غرفةٍ عليا وأخرى سفلى للهيئة التشريعيَّة أو الحاكمة. لكن ثمة تبديلاً فريداً ذا طابع روحي أُدْخِلَ عليه، يتمثل في أن القول الفصلَ مُنِحَ إلى الغرفة العليا التي تتألف من ثلاث شخصيات مهمة، من بينها ممثل الإله المحليِّ الذي تُحدثنا عنه سلفاً. ومن جانبه، يقول روهَن، وهو أحد الصبية الذين يتاجرون في الحشيش، إن للإله "الكلمة النهائية، ولدينا نظامٌ مؤلفٌ من مجلس وثلاث شخصيات، من بينهم الـ"غور) 'ممثل الإله الهندوسي)، الذي يوصل إلينا قرارات الإله 'جمالو دفتا.'"

وقد حدثني المخرج داتّا عن أسطورة منتشرة بين القرويين مفادها بأن ذلك الإله الهندوسي عاش يوماً ما في قرية "مالانا" بعدما وُهِبتْ إليه من جانب "شيفا"، وهو أحد أهم الآلهة في الديانة الهندوسية.

ومن بين المعبدين الموجودين في هذه القرية العتيقة القديمة، واحدٌ مكرسٌ لـ"جمالو دفتا"، بينما كُرِّسَ الآخر لزوجته "رِنوكا ديفي".

وخلال سيري في الدروب الضيقة لـ "مالانا" محاطاً بالبيوت المُشيَّدة من الطوب والأخشاب، دلفت إلى الفناء الكبير الذي يجتمع فيه أعضاء الغرفة السفلى من الهيئة الحاكمة في المنطقة، ويوجد فيه كذلك معبدٌ مُكرسٌ لـ "جمالو دفتا". ويمكن للمرء رؤية هذا المشهد على خلفية من الجبال ذات القمم المكسوةً بالثلوج.

**اعمدة خشبية**

وبدا المعبد فاتناً ومثيراً للاهتمام بأعمدته الخشبية العريضة وأبوابه ذات التفاصيل المتشابكة والمعقدة، بجانب مجموعة العظام والجماجم وغيرها من أجزاء الحيوانات المقدمة قرابين، الموضوعة على أحد الجدران.

لكن عليك ألا تغفل عن لافتة تحذيرية في الخارج، تشير إلى أن "من يلمس هذا المكان المقدس الخاص بالإله 'جامدَغني ريشي'" سيضطر إلى دفع 3500 روبية هندية.

وتشكل هذه اللافتة برهاناً ظاهراً على تقليد آخر جليٍّ بشدة في قرية "مالانا"، وهو المتمثل في السعي الدؤوب من جانب المسؤولين عنها للحفاظ على "نقائها وطهارتها".

وفي هذا الصدد، سيخبرك الناس في مختلف ربوع هيماجيل براديش بأن سكان تلك القرية العتيقة يُعرفون بأنهم يحُدون من التواصل مع الغرباء، خاصةً على صعيد الاتصال والتلامس الجسدي المباشر.

وقد تلقيت شخصياً تحذيراً من السائق الذي أوصلني إلى مالانا، بضرورة أن أُبقي على مسافة بيني وبين السكان.

ورغم أنني رأيت بعض أبناء الجيل الأصغر سناً في القرية وهم لا يحجمون عن العناق والمصافحة، فإن غالبية السكان هناك لا يزالون يحافظون بقوة على مبدأ عدم ملامسة الغرباء.

وقد بلغ الأمر حد أنني عندما أردت دفع ثمن قارورة مياه اشتريتها من أحد المتاجر هناك، طلب مني البقال ترك الأوراق النقدية على منضدة الدكان بدلاً من أن أعطيها له مباشرةً. كما عَلِمتُ أنه من الضروري أن تتم الزيجات داخل حدود القرية، وأن من يخالف هذا العرف يتعرض لمقاطعة اجتماعية.

وبحكم إدراكي التام بأن الغرباء غير مرحبٍ بهم في "مالانا"، ساورني شعورٌ بأنني متطفلة خلال طرحي بدأب الأسئلة على السكان وإجراء نقاشات معهم، للتعرف على مزيد من المعلومات بشأن قريتهم.

ومع أن سكان ولاية هيماجيل يتسمون بالود والحميمية، والميل إلى الثرثرة، وكذلك بحب مشاطرة الغرباء طعامهم وحكاياتهم، فإن الأمر في "مالانا" يختلف، إذ كان من النادر أن ترى محادثات مطولةً تُجرى مع السكان هناك.

والآن، وبعد أسابيع من قيامي بهذه الرحلة، أدركت وأنا أنظر إلى الوراء أثناء محاولاتي المضنية لسبر غور أساطير "مالانا"، أن الجانب الأكثر جمالاً من تجربتي هذه يكمن في روح الغموض التي تتسم بها القرية.

## العبور الصعب

قوى وشخصيات وافراد ، تتحرك لجمع الاصوات للكتلة الكبرى ، وشعب لم يكترث ، لكنه منتبه بحذر ، خشية من أن تعود الحركة الى ماكانت عليها ، من تشكيلات وصفقات ليس للشعب مصلحة فيها .

بعض فصائل الشعب تحركت وان كان متأخرا ، لكنها تحركت ضد صفقات المذهبيات والعرقيات ، واكدت الجماهير بالاضافة لمطالبها اليومية ، بان الخلل ليس في محاصصة السلطة وحدها ، وإنما في الية عمل النظام نفسه ، وطالبت بتصحيح الدستور ، وبضرورة العمل للأنتقال الى شروط النظام الذي يعزز قوة الدولة ، وفاعلية قوانينها ، وتفعيل مؤسساتها ، واحترام المواطنة فيها ، وتجذيب الدوائر الزائدة فيها .

التشوفات الجماهيرية كانت واضحة لنظام المذهبيات والعرقيات ، بأنه اصل المشكلة ، ففيه تنمو طفيليات النهب للمال العام ، ومن خلاله تتوزع جغرافية البلاد ، وهو الجهة الحاضنة للتدخلات الخارجية ، وهو الاكثر قابلية للتقسيم . لذلك كان الموقف الجماهيري باسبقية قيام سلطة وطنية بعيدة عن المحاصصات وشروطها المؤدية لاضعاف الدولة وتقزيم فاعليتها .

لم يعد العراق وشعبه في هذه المرحلة ، مستوعبا هضم المداولات السياسية لتوزيع الحصص ، بقدر ماتنتضر الجماهير امكانية التغيير حتى لو كان نسبيا ، إلا انه يشكل الخطوة الاولى لتقليص المساحة للمطالب الوطنية .

وما يثار من إن السيد فالح الفياض سيكون المرشح لرئاسة الوزراء ، هو واحدة من افرازات عمليات الضغط الشعبي ، ويأمل الشارع العراقي بكل الوان طيفه تحقيق ذلك ، لكون الفياض لم يكن واحدا من اطراف الصراعات الطائفية والحصصية ، وهو ليس من الباحثين على المناصب حتى يقدم التنازلات على حساب الهموم الوطنية ، وبرز كمقاتل في صفوف المقاومة وقيادة الحشد الشعبي في مواجهة الارهاب والقضاء علية ، ومسؤولا في بناء جهاز الامن الوطني ، وبالتالي حسب المستجدات السياسية انه مقبول من كل الاطراف ، وله علاقات طيبة مع دول الجوار ، وموقف صارم من وحدة الكفاح المشترك العراقي السوري ضد الارهاب وكافة اشكال التدخلات .

لم يعد من الممكن قبول التدخلات الخارجية في الشأن العراقي ، وان العملية التراكمية التي خلقتها المحاصصات ، بولادة طفيليات النهب للمال العام ، واشاعة ثقافة التزوير ، والتفريق بين مكونات المجتمع ، هي التي سهلت التدخلات الخارجية في العراق ، وهذا الوضع لايمكن التقليل من مخاطره إلا بموقف وطني منحازة للعراق ومنفتح على العالم بدولة لها خصوصيتها وهويتها الوطنية المعبرة عن تنوعها .يتضح الان بان سياسات الكيانات والكتل ، لم يعد همها ترصين الوحدة الوطنية ولا الخروج من الاشكاليات والازمات المجتمعية والحياتية والانسانية التي افرزها نظام المحاصصة ، وإنما صار الحصول على الكتلة الكبرى مزادا في سوق السياسات ، وهذا يفرض تنازلات تمتد من مواقع السلطة الى الارض والمدن ، لكون الاطراف المتحاورة ، تركز همومها على ما تحققه لذاتها ولمشروعها التقسيمي وفصل المجتمع الذي تعايش عبر الاف السنين من خلال مايطرح بالمناطق والمدن المختلفة ، وليس مايطرح بالمدن المتعايشة ، والحوار في هذا الموضوع ذاته هو انقلاب على الوحدة الوطنية والتعايش الاخوي السلمي بين ابناء الوطن الواحد .لقد تبين بأن مسألة الانتقال من المحاصصة الى نظام وطني قوي البناء ، اصبح مشكوكا به ، لكن يبقى الامل قائما بالمخلصين للعراق ، وهذا الامر يحتم الحذر من مزادات التنازلات التي ستوقع العراق باشكاليات مؤذية للجميع وفي المقدمة الانسان العراقي في كافة مواقع تواجده ، وعلى وفق الحالة الراهنة لطبيعة الصراعات السياسية ، ونتيجة لضغوط القوى المحشوة بانانيتها العرقية والمذهبية اصبح العبور الى سلطة وطنية بكفاءات منتجة تمتلك قوة الفعل في محاربة ومحاسبة الفاسدين وانجاز مطالب الجماهير صعبا ، ونتمى أن لايقع البلد في صراعات اثبات القوة .

**جاسم مراد**

هسلنكي

## فاستخف قومه فأطاعوه

يفسر الشعراوي هذه الأية "الاستخفاف يعني العجلة والطيش وعدم التدبّر في المسائل" أي استخفهم فرعونُ بالكلام فأطاعوه على الضلال الذي هو فيه ووافقوه على الفساد،ولا يوافق على الفساد إلا المنتفع منه وبه،وبعد ان وجدهم أهلَ طيش ورعونة وعدم تفكّر في الأمور ضحك عليهم ، ويقول سيد قطب في تفسيره للأية "واستخفاف الطغاة للجماهير أمر لا غرابة فيه فهم يعزلون الجماهير أولاً عن كل سبل المعرفة ويحجبون عنهم الحقائق حتى ينسوها ولا يعودوا يبحثون عنها ويلقون في روعهم ما يشاءون من المؤثرات حتى تنطبع نفوسهم بهذه المؤثرات المصطنعة ومن ثم يسهل استخفافهم بعد ذلك ويلين قيادهم فيذهبون بهم ذات اليمين وذات الشمال مطمئنين". ولا يملك الطاغية أن يفعل بالجماهير هذه الفعلة إلا وهم فاسقون جهلة لا يستقيمون على طريق ولا يزنون بميزان العقل والمعرفة ،فأما سواهم فيصعب خداعهم واستخفافهم واللعب بهم كالريشة في مهب الريح ومن هنا يعلل القرآن استجابة الجماهير لفرعون "فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين". من المؤسف ان نجد الأية تنطبق علينا وكأنها قد نزلت في حقنا ،فقد استخفونا واستهزءوا بنا يقول احدهم "لو اتى النبي محمد ص وصحابته لما كانوا يستطيعون ان يحلوا مشكلة العراق" وذهب اخر "بان لو كان الحسين ص موجوداً اليوم لكانوا قد قتلوه مرة اخرى" صحيح كلامه لأنه لو كان موجود لقتل على أيدي مسؤولي العراق وحكامه اليوم كما قتلوه اجدادهم أول مرة ،كفار قريش اشرف منهم فقد رفضوا ان يموت ال هاشم في الشعاب وهم متنعمون بينما الحكومة والمسؤولون مشغولون بتشكيل الحكومة وتقاسم المغنم والبصريون يموتون عطشاً وسما. وصل الاستخفاف بالشعب حد ان المسؤول اصبح لايستحي ان يجاهر بالسوء والفساد او يقوم به ولايفكر بايجاد مبرر لأنه يعلم ان له اتباع ومناصرين سيجدون له الف تبرير وتبرير له فـ "هذا سيد من جماعتنا" و "اذا راحت من ايدينه بعد ماكو لطم ولا شعائر ولا مشاية" و "بعد ما ننطيها" و "7*7و "جانو مطايا لصدام يسوك بيهم" و "عائلتي يديحون مثل الشعب الدايح" والكثير من الاقوال والافعال بل ومن القوانين والقرارت الفاضحة والجائرة بحق الشعب الذي يعاني سوء كل ما حوله والمسؤولون يعانون فرط التخمة والترف والرفاهية،فما كل هذا الا لكوننا نستغفل انفسنا وفينا سفاهه وحمق جعلتهم يستمرون في حكمهم مستمدين قوتهم من ضعفنا ،ويوماً بعد يوم نزداد ضعفاً واوضاعنا سوء وهم يزدادون قوة وطغياناً ، فلو لم يجدوا فينا طيشاً وجهلاً وسذاجة لما طغوا ولما عاثوا في ارضنا فساداً وفي شعبنا تقتيلا وسرقة،فبعد ان تكشفت كل الاقنعة نجد من يصطف مع المجرمين الفاسدين ويقف الى جانبهم ،اما خوفاً او طمعاً او تملقاً او توافق مصالح ونجد ان القاتل يقف مع المقتول في جبهة واحدة . كيف يمكن ان يجتمع الاضداد في حكومة او في جبهة واحدة فاما انهم لم يكونوا قتلة او ان المقتول لم يكن بريئاً !!

او انه لم يقتل احد اصلاً اولاد السياسة لانستثني منكم عصبة بلادنا اغتصبت تصرخ طالبةً نجدة وصرختم فيها أن تسكت صونا للعرض فما أشرفكم أولاد الحكومة هل تسكت مغتصبة أولاد السياسة .. مظفر قد قال قبل عقود انتم اسوأ عصبة إن حظيرة خنزير أطهر من أطهركم .

**لؤي الشقاقي**

اسطنبول

استطلاعات

# الزواج وحقوق المرأة في مصر القديمة

**لندن - وائل جمال الدين**

فطن المصريون القدماء إلى أهمية الترابط الأسري، لذا شجعوا الزواج المبكر بمجرد بلوغ الشاب والفتاة السن الذي يسمح بالزواج وتحمل المسؤولية، حفاظا على نسيج المجتمع وتماسكه.

وأطلق المصري قديما ألفاظا مختلفة على علاقة الزواج، من بينها "إر- حمت (إتخاذ زوجة)"، كما أطلق على الزوجة اسم "مريت (الحبيبة)" و"نبت-بر (سيدة المنزل)"، ومن أشهر الكلمات أيضا "سنت (أخت)"، و"حمت (زوجة)".

وأكدت نصوص الأدب المصري القديم في أكثر من موضع على ضرورة اتخاذ الشاب زوجة له حفاظا على استقامته في الحياة، كهذا المقتطف الذي يعود إلى عصر الدولة الحديثة، وهو من تعاليم شخص يدعى "آني" لابنه "خنسوحتب"، يحثه على الزواج المبكر، في نص اطلعت عليه بي بي سي في ترجمته الفرنسية عن النص المصري القديم، في دراسة ضمن نماذج الفكر العالمي لمنظمة اليونسكو بعنوان "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية، للعالمة كلير لالويت. ويقول المقتطف:

**زواج قديم**

"يا بني، اتخذ لنفسك زوجة وأنت شاب كي تنجب لك طفلا، فإن أنجبته لك في شبابك، أمكنك تربيته حتى يصير رجلا".

يبدو أن الزواج في مصر القديمة لم يعرف التوثيق الرسمي كعقد بين طرفين قبل فترة العصر المتأخر (القرن 11إلى القرن الرابع قبل الميلاد)، بحسب تقسيم عصور تاريخ مصر القديم.

ويعود أقدم نص يمكن الاطلاع عليه إلى عام 590قبل الميلاد، كما عُثر على عقد زواج مكتوب بالخط الهيراطيقي في جزيرة الفنتين جنوبي مصر، يعود إلى عهد الملك نختنبو الثاني ( 341-359) قبل الميلاد)، وهو محفوظ في المتحف المصري بالقاهرة، فضلا عن عقد زواج مصري آخر مكتوب باللغة اليونانية، يرجع إلى عام 311 قبل الميلاد.

يالها من سعادة عندما تضم يدك إلى يدها. تعلم كيف تدرء أسباب الشقاق في بيتك، ولا يوجد مبرر لخلق نزاعات في المنزل

ويتضمن العقد بنودا تصل أحيانا إلى نحو 20 بندا، تحدد شكل العلاقة بين الزوجين تفصيلا مثل: التاريخ، الإعلان (الإشهار)، وطرفي عقد الزواج، وهدية الزوج (المهر)، والمعيشة، والضمان، والانفصال، وحماية الأطفال، والقسم (التعهد)، ومتعلقات شاركت بها الزوجة في المنزل، والمتعلقات المشتركة بين الزوجين، وممتلكات من الوالدين من ميراث، والرهن، والتعويض في حالة الانفصال، والإقرار الختامي، وكاتب العقد، والشهود.

وسلط عقد زواج من عصر متأخر الضوء على مكانة المرأة عند زوجها، عندما تعهد في العقد بأن يقدم لها مقدارا من القمح كل صباح، ومقدارا من الزيت شهريا، وراتبا شهريا، فضلا عن نفقات سنوية للعناية بزينتها وجمالها.

ولم يغفل الأدب المصري على الإطلاق إعلاء شأن الترابط الأسري القائم على مبدأ الحب والاحترام للمرأة من طرف الزوج، كهذا المقتطف من تعاليم الوزير "بتاح حتب"، من الأسرة الخامسة:

"إذا أصبحت رجلا معروفا فتزوج، وأحبب زوجتك كما يليق بها، قدم لها الطعام والملابس، فأفضل دواء لأعضائها هو العطر الطيب، أسعد قلبها ما حييت، إنها حقل خصب لولي أمرها، لا تتهمها عن سوء ظن، وامتدحها يقل شرها".

وأكد "آني" نفس الشيء في وصيته لابنه قائلا:

"لا تصدر أوامر كثيرة إلى زوجتك في منزلها، إذا كنت تعلم أنها إمرأة ماهرة في عملها، لا تسألها عن شيء أين موضعه؟ ولا تقل أحضريه، إذا كانت قد وضعته في مكانه المعتاد.

لاحظ بعينيك والزم الصمت حتى تدرك محاسنها، يالها من سعادة عندما تضم يدك إلى يدها. تعلم كيف تدرء أسباب الشقاق في بيتك، ولا يوجد مبرر لخلق نزاعات في المنزل، كل رجل قادر على أن يتجنب إثارة الشقاق في بيته، إذا تحكم سريعا في نزعات نفسه".

وحرص المصري القديم أيضا على تأكيد مكانة الزوجة الأم، ولا يوجد أبلغ من هذا النص الوارد في تعاليم "آني" لترسيخ هذا المفهوم في ذاكرة ابنه لحسن معاملة أمه:

"ولدتك بعد تسعة أشهر، لكنها ظلت أسيرة بك، وثديها في فمك طوال سنوات ثلاث كاملة. وعلى الرغم من عدم نظافتك، لم يشمئز قلبها منك، ولم تقل ماذا أفعل؟ أدخلتك المدرسة عندما ذهبت تتعلم الكتابة، ودأبت على الذهاب من أجلك كل يوم، تحمل لك الخبز والشراب من المنزل".

**تعدد الزوجات**

لم تعرف مصر القديمة تعدد الزوجات إلا في أضيق الحدود، على الرغم من عدم وجود نص صريح يمنعه أو يشجع على ترسيخه، وأرجع بعض العلماء ذلك إلى أسباب طبقية وربما اقتصادية، أسهمت في الحد من انتشار التعدد في المجتمع. ورغم إباحة تعدد الزوجات بين الملوك والنبلاء، إلا أنه كان مقيدا بما يبرره.

تزوج بعض ملوك مصر بأكثر من زوجة لأسباب سياسية، كالملك "أمنحوتب الثالث"، الأسرة 18 الذي اتخذ إلى جانب زوجته المصرية "تي" زوجات من بابل وميتاني وآشور.

كما تزوج الملك رعمسيس الثاني، الأسرة 19 بخلاف زوجتيه المصريتين "نفرتاري" و "إيزيس نفرت"، الأميرة ابنة ملك الحيثيين "خاتوسيل" بعد معركة قادش، زواجا سياسيا يعرف بمصاهرة سلام بين الدولتين، وأطلق عليها "ماعت نفرو رع".

كما تشير نقوش مقابر بعض النبلاء إلى اتخاذهم أكثر من زوجة، مثل مقبرة "مري-كا-رع" الذي صُوِّر وإلى جانبه زوجات ست. وأمير آخر يدعى "أميني"، من عصر الدولة الوسطى، كانت له زوجتان، وكانتا تعيشان في ودٍ بينهما.

وتوجد بردية تتعلق بسرقات المقابر في عصر الرعامسة، تشير إلى أن أحد اللصوص، الذين اشتركوا في سرقة مقابر، كانت له أربع زوجات، اثنتان منهن كانتا على قيد الحياة أثناء نظر المحكمة للقضية، وكانتا على وفاق وود، حسبما أشار الفرنسي بيير مونتيه في دراسته عن "الحياة اليومية في مصر في عهد الرعامسة".

أثارت قضية "زواج الملك بابنته" في عصر الدولة الحديثة تحديدا، وفي عهد ثلاثة من أعظم ملوك الفترة هم "أمنحوتب الثالث" و ابنه "أمنحتب الرابع (أخناتون)" و"رعمسيس الثاني"، جدلا تاريخيا بسبب إطلاق لقب "حمت سنو ورت (زوجة الملك العظيمة)" على بنات بعينهن لهؤلاء الملوك دون بقية الأميرات.

والثابت أن هذا اللقب حملته الأميرة "سات آمون" ابنة "أمنحوتب الثالث"، والأميرتان "مريت آتون" و "عنخ إس إن با آتون" في عهد أبيهما "أمنحوتب الرابع (أخناتون)"، والأميرات "نبت عنات" و"مريت آمون" و"نبت تاوي" في عهد أبيهن الملك "رعمسيس الثاني".

وربما كانت ترجمة اللقب في حد ذاته سببا رئيسيا في جعل البعض يعتقد أن الملك تزوج زواجا رسميا وفعليا بابنته.

لكن بعض العلماء يرون أنه مجرد لقب شرفي تقاسمته الأميرات مع أمهاتهن الملكات في حياتهن.

وكان اللقب بمثابة رتبة تجعل الأميرات قادرات على أداء بعض مهام الأم الدينية والاجتماعية والسياسية بالإنابة، لاسيما وأن جميع الأميرات المذكورات بنات لملكات بارزات، هن "تي" و"نفرتيتي" و"نفرتاري" و"است نفرت"، وجميعهن لهن أبرز دور في الحياة السياسية والدينية في تاريخ مصر القديم في عهد أعظم ملوك الدولة الحديثة. ولا يوجد ما يؤكد على الإطلاق اتخاذ هؤلاء الملوك بناتهن زوجات شرعيات في حياة أمهاتهن الملكات.

**أسباب الطلاق**

حث الأدب المصري الرجل على احترام المرأة وحرمتها، حتى لو لم تكن زوجته، تفاديا للانفلات الأخلاقي الذي قد يقود إلى خيانة زوجية ربما تفضي إلى الطلاق إن كان متزوجا، كهذا المقتطف من تعاليم "بتاح حتب":

"إن كنت ترغب في المحافظة على سلام منزل تزوره، سواء منزل عظيم أو منزل أخ أو منزل صديق أو أي منزل تدخله، تجنب أن تقترب من النساء، فإن المكان الذي هن فيه لا يصلح، فآلاف الرجال تتبعوا هذه المخلوقات الجميلة، لكنهم تحطموا بسببها، وخدعتهم أجسادهن الرقيقة، التي أصبحت أكثر صلابة من الحجر. إن الرغبة لا تدوم إلا لحظة وتمر كالحلم".

كانت العلاقة الزوجية تنتهي في حالة الاتفاق على الطلاق أو وفاة أحد الزوجين. وكانت أسباب الطلاق – التي أشارت إليها الوثائق المصرية هي: حدوث شقاق مستمر وكراهية بين الطرفين، أو عدم إنجاب الزوجة، أو ارتكاب الزوجة جريمة الزنا. وعلى الرغم من أن المجتمع منح الزوج حق معاقبة الزوجة، إلا أنه اشترط عدم الإضرار بها أو سبها. وكان الزوج يتعهد أمام القضاة بعدم إهانة زوجته وإلا عوقب بمئة ضربة أو جلدة.

وكان نص صيغة الطلاق بين الزوجين عبارة عن توثيق للحقوق بين الطرفين، والاعتراف بحرية كل منهما في الزواج من جديد.

وكان من حق الزوجة في حالة الطلاق بإرادة الزوج، أن تحصل على منقولاتها التي اعترف بها الزوج في عقد الزواج، فضلا عن حصولها على ما يُعرف بتعويض متفق عليه في بداية الزيجة، إلى جانب الحصول على ثُلث الثروة المشتركة التي كونها الزوجان خلال فترة زواجهما.

أما في حالة رغبة الزوجة في الطلاق، فكانت تحصل على كامل الحقوق باستثناء التعويض، الذي تحصل على نصف قيمته فقط. أما لو كان الطلاق بسبب ارتكاب الزوجة جريمة الزنا وثبوت ذلك بالفعل، فكانت تحصل فقط على منقولاتها التي أسهمت بها في تأسيس منزل الزوجية، وتُحرم من جميع الحقوق الأخرى.

تظل حضارة مصر القديمة نموذجا لفن الحياة، تلك الحياة فائقة البساطة برفعة منزلتها وفلسفتها الفكرية بين حضارات الشرق القديم، وتطرح لالويت تساؤلا عن أهمية دراسة تاريخ مصر وتقول :"أهي رحلة في مصر القديمة؟

أم هي عودة إلى أصولنا الحقيقة جميعا؟

ليت قراءة هذه النصوص تجعل مصر

**حجم:** تمثال للملك أمنحوتب الثالث جالسا إلى جوار زوجته المحبوبة الملكة تي بنفس الحجم

**زواج:** فطن المصريون إلى أهمية الترابط الأسري وشجعوا الزواج المبكر بمجرد بلوغ الشاب والفتاة السن الذي يسمح بالزواج